سطور
OSTOUR

المعرّف الرقمي: DOI: https://doi.org/10.31430/XKKA2789

فوزي بوخريص | Faouzi Boukhriss*
عبد الله هرهار | Abdellah Herhar**

"نساء الصحراء": بين أنثروبولوجيا النساء والنساء الأنثروبولوجيات***

Women of the Desert: Between the Anthropology of Women and Women Anthropologists

المؤلف: محمد دحمان.
عنوان الكتاب: **نساء الصحراء: دراسات سوسيو-أنثروبولوجية.**
الناشر: مراكش: مؤسسة آفاق.
سنة النشر: 2024.

* أستاذ في شعبة الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب.
Professor in the Department of Anthropology, Faculty of Humanities and Social Sciences, Ibn Tufail University, Kenitra, Morocco.
Email: faouzi.boukhriss@uit.ac.ma

** أستاذ في شعبة الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب.
Professor in the Department of Anthropology, Faculty of Humanities and Social Sciences, Ibn Tufail University, Kenitra, Morocco.
Email: herharabdellah@gmail.com

*** في الأصل هذه المراجعة هي مداخلة جرى تقديمها خلال اللقاء الذي نظّمته شعبة الأنثروبولوجيا في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل في القنيطرة، في 8 آذار/ مارس 2024، احتفاءً بالكتاب.

مقدمة

يتناول الباحث محمد دحمان[1] في كتابه الجديد، **نساء الصحراء**، موضوع المرأة ومكانتها في المجتمع الصحراوي، ويربط ذلك بالتحولات الاجتماعية في مجتمع يتّسم بالانتقال من حالة البداوة والترحال، إلى الاستقرار في المدن والأمصار. وتُعالج دراساته علاقة النساء بالسلطة والزمن والمجتمع والإبداع والجسد والمخيال في مجتمع الساقية الحمراء ووادي الذهب. وهي دراسات تدرس الشعر الحسّاني[2] من خلال نموذج شعر التبراع[3]، وعلاقته بالتحولات الاجتماعية، وتعالج زمن المرأة في الصحراء، من الفريك[4] إلى الدشرة[5]، وتهتم بصورة المرأة وجسدها في المخيال الاجتماعي، من خلال نماذج من الموروث الشعبي الحسّاني، وقوفًا على دلالات أسماء النساء في مجتمع البيظان[6]، وصولًا إلى أوضاع المرأة الصحراوية في سبعينيات القرن العشرين من خلال مذكرات الكاتبة سان ماو (1943-1991)[7]. وتعد هذه الدراسات في مجملها خلاصات أبحاث ميدانية، تراكمت لدى المؤلّف خلال العشرين عامًا الأخيرة، بعضها سبق نشره، وبعضها الآخر غير منشور من قبل.

بداية، نُسلّط الضوء من خلال مراجعتنا هذه على عنصرين أساسيين: مادة الكتاب، ومنهجه، وبعد ذلك نستجمع بعض الخصائص الكبرى التي تتميز بها المرأة الصحراوية، والتي حاولنا من خلالها أن نربط بين سلطة القبيلة وسلطة المرأة. وبعد ذلك، نستحضر بعض الإشارات حول علاقة الأنثروبولوجيا، التي يستند إليها المؤلّف في غالبية دراسات الكتاب، بالنساء، سواء باعتبارهن موضوعًا علميًا (أنثروبولوجيا النساء)، أم بوصفهن ذواتٍ يساهمن في إثراء الدراسات الأنثروبولوجية المتعلقة بالنساء، وبالإنسان والمجتمع عمومًا (النساء الأنثروبولوجيات).

أولًا: في مادة الكتاب ومنهجه

نقصد بمادة الكتاب المادة المعرفية التي وظّفها المؤلّف في كتابه، أما منهج الكتاب فنعني به الطرائق التي اتّبعها المؤلّف نفسه في بناء موضوعه. فما الذي يُميّز مادة كتاب **نساء الصحراء**؟

سيُلاحظ كل مطّلع على هذا الكتاب أن مادته منوّعة وغنية، وهي مادة إمبريقية استقاها المؤلّف وجمعها خلال مسيرته البحثية المتعلقة بقضايا تخص مجالًا يسكن صاحبه؛ أي المجال الصحراوي، وتحديدًا منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب، فضلًا عن السمارة وغيرها من المناطق. ويتعلّق الأمر هنا بمجتمع يغلب عليه الطابع الشفوي على حساب التدوين والتأليف (ص 11). وتتشابك

1 أستاذ في شعبة الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب. صدر له: محمد دحمان، **موريتانيا المعاصرة: المجال والمجتمع** (الرباط: الرباط نت، 2017)؛ محمد دحمان، **سيدي ايفني: الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الإسبانية (1934-1950)** (الرباط: الرباط نت، 2015)؛ محمد دحمان، **الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الإسبانية (1885-1933)** (الرباط: الرباط نت، 2014)؛ محمد دحمان، **دينامية القبيلة الصحراوية بالمغارب** (الرباط: طوب بريس، 2014)؛ محمد دحمان، **الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب** (الرباط: مطبعة كوثر، 2006).

2 تراث شفوي ينتشر جنوب المغرب وموريتانيا والصحراء الكبرى.

3 كلام منظوم تنشده الفتاة الصحراوية في مجتمعات البيظان تغزلًا بحبيبها.

4 تجمّع من الخيام يراوح عددها بين 15 و30 خيمة.

5 يقصد بها القرية.

6 يطلق اسم البيظان على المجموعات الاجتماعية الناطقة باللهجة الحسانية المنتشرة ما بين وادي درعة ونهر السنغال وفي أطراف من مالي والجزائر، وتتميز من باقي القبائل الرحالة بنوعية الخيام وشكل التراتب الاجتماعي والمكانة الخاصة للمرأة وطبيعة تذوق الشعر والموسيقى.

7 صان ماو (1943-1991)، كاتبة تايوانية - صينية عاشت بضع سنوات في مدينة العيون في الصحراء المغربية، فأثمرت مؤلّفها **قصص الصحراء** *Stories of the Sahara*، الذي روت فيه قصتها مع الصحراء وكشفت من خلاله عن نمط عيش المجتمع الصحراوي. ينظر:

Sanmao, *Stories of the Sahara* (Taiwan: Crown Culture, 1976).

جلّ الموضوعات التي يثيرها الكتاب وتتماسّ في ما بينها، وينطلق فيها المؤلّف من نصوص محلّية فصيحة، وأخرى شعبية (حسّانية) ومتون وعقود للزواج والطلاق، ويستثمر مختلف الإنتاجات الأدبية التي توافرت لديه عن الصحراء، سواء أكانت محلّية أم أجنبية، قصد استجلاء ملامح وضعية المرأة داخل مجتمع بدوي يعيش مخاض تحوّلاته. فلاحظ خلال مسيرته البحثية أن غالبية الكتابات المحلية الأولى عن الصحراء لم تُعالج موضوع المرأة على نحو مباشر، بل عالجته عرضيًا، في إطار مناقشتها قضايا الطهارة والزواج والطلاق وغير ذلك. فهو عندما يبحث في كيفية حضور المرأة والجسد في الإبداع الشعبي، من شعر وأمثال وغيرهما من النصوص (ص 48)، يقف على مجموع الصور النمطية بشأن المرأة (ص 59)، مثل صورة المرأة الجميلة، التي يحنّ إليها الرجال، ويعاملونها باللطف والمحبة، والصورة التي تتصدر معظم مقدّمات القصائد الشعرية الفصيحة والعامية، والصور التي تُظهر جمال القدّ ونضارة الوجه وملاحة الحديث ونظرات العيون النجل. ويقف أيضًا عند الصورة الأخرى المقلوبة التي يُسمّيها الصورة الميثولوجية للمرأة، التي تظهر خلالها المرأة حكيمة، تمتهن الطب وتُعالج الأمراض، والمرأة التي ترمز إلى المشورة والحكمة، والأم المربّية التي تعتني ببيتها (ص 60)، فضلًا عن صور المرأة الشاعرة والعاملة والمعلمة، ثم صورة المرأة التي ينبغي عدم كشفها، فصورة المرأة التي ترمز إلى الشؤم وتحمّل أكثر الأسماء سخرية. وعندما يستجمع ذلك كله، يضع النساء داخل السياق السوسيوتاريخي للمجتمع المحلي (ص 9)، ومن ثمّ يتبيّن لنا أن المرأة والصور المكوّنة عنها محكومتان بالتراتبية الاجتماعية، وتقسيم العمل المرتبط بهذه التراتبيات (ص 60).

إذًا، نحن أمام باحث يلاحظ ويراقب، يُسجّل ويتمعّن، يفكّر ويتأمل وضعية نساء يرتبطن بوضعية الجماعة البشرية التي ينتمين إليها (مكانة القبيلة)، ما يعني أن المرأة هنا هي بغيرها، وليست بذاتها؛ امرأة تنتمي إلى جماعة تمنحها هوية ونسبًا؛ فقد تنتمي إلى قبيلة محاربة، تمتهن حمل السلاح، وتتولّى الزعامة السياسية، أو إلى قبيلة زاوية تابعة، أو إلى غيرهما من القبائل. وقد كان هذا المجتمع مكوّنًا من مجموعة من القبائل، منها التي تحمل السلاح وتسمى العرب، وهي صاحبة السلطة السياسية، وقبائل تمتهن العلم والتعليم وتُدعى الزوايا، أو "أهل الكتوب"، وهي قبائل منزوعة السلاح، لكنها تتمتع بسلطة دينية ولديها رأس مال رمزي معتبر، ثم مجموعة ثالثة تضمّ عشائر وأسرًا تتولّى الرعي أو الزراعة وخدمة المنازل، مثل الحراطين والعبيد وعائلات الحرفيين والمعلمين والزفانين، مثل إيكاون الموسيقيين (ص 58).

أثّر ارتباط النساء بهذه المجموعات البشرية وبأصولها القبلية في أوضاعهن، فإذا كانت المرأة تنتمي إلى القبيلة المحاربة، فهي تمتلك حرية قصوى، تُمكّنها من حضور الاجتماعات العامة وتدبير أمور الأسرة وتُبدِع شعرًا، بل تؤثر حتى في قرارات زعماء القبائل (ص 10). وإذا كانت تنتمي إلى قبيلة أهل الزوايا، فهي تمتهن العلم والتعليم ورعاية المساجد والزوايا (أدارسة وعلويون). ونجد في كثير من الأحيان نساء يجمعن بين العلم والتصوّف وحمل السلاح، كما في حالات قبائل الركيبات، وأولاد بسباع، وآل الشيخ ماء العينين، والعروسيين، وفيلالة، وتوبالت ... إلخ، بل نجد أخريات يمتهنّ الكتابة ونسخ النصوص والكتب (متون فقهية، ودواوين شعرية، وسيرة نبوية) (ص 11). أما نساء الفئات التابعة؛ أي نساء الرعاة والحرفيين والرقيق، فيتولّين أعمال الرعي، إضافة إلى مختلف الحرف اليدوية، وخدماتٍ منزلية أخرى (ص 13)، مثل دبغ الجلود ورعي الماشية والموسيقى والرقص (ص 11). وتكون نساء الفئة الأخيرة في خدمة القبائل الأخرى، ليضمن حمايتهنّ.

إن هذه التراتبية، كما يؤكد المؤلّف، هي من طبيعة وظيفية، وليست من طبيعة سلالية (ص 11). ومن ثم، فنحن أمام بنية متحوّلة، وليست جامدة، أي إنها تشهد تحوّلات مستمرة؛ فقد تتحوّل القبيلة المحاربة إلى قبيلة زاوية، وقد يتحوّل الشيخ الصوفي إلى زعيم زمني ومحارب، والتابع إلى زعيم حربي أو عالِمٍ مُفتٍ (ص 11)، وفي الحصيلة تتغير مكانة المرأة ووظائفها.

ثانيًا: من سلطة القبيلة إلى سلطة النساء

عندما نعود إلى النصوص الفقهية التي كُتبت بشأن الصحراء، نجد المامي[8] مثلًا، لا يُمانع في مخالطة النساء، فيقول: "ثلاثة تجلو على القلب الحزن: الماء والخضراء والوجه الحسن" (ص 12)؛ إذ جرت العادة في الصحراء أن تستقبل النساءُ الضيوفَ الرجال في بيوتهنّ في غياب أزواجهم ويُكرمنهم، بل يُحسنّ إليهم (ص 12)؛ الأمر الذي يُظهر مكانة المرأة وسلطتها في مجتمع يستمدّ سلطته من حركته. فمن أين تستمد المرأة سلطتها؟ بناء على ما تقدّم، وعلى قراءتنا، تستمدّ النساء سلطتهنّ من الجماعة؛ أي من وضعية الجماعة القبلية التي ينتمين إليها وطبيعتها، ثم من قدرتهنّ أنفسهنّ على إعداد الصبايا وتنشئتهن للقيام بالأدوار التي تنتظرها القبيلة من بناتها، لهذا نجدهنّ يخضعن لتكوين صارم ومُضنٍ[9]، كما يتجلى في طقوس "البلوح"، عندما تقدّم النساء المسنّات أو الراشدات كمية من اللبن والحليب للصبايا قصد تسمينهنّ (ص 12). والغاية من طقس "العبور" هذا، بحسب بعض الفقهاء، إصلاح أبدان الفتيات (ص 13)، أو بلغة أخرى إعدادهنّ لتمثيل جماعتهنّ والتعبير عن هوية القبيلة[10]. ويتعلق الأمر بمجتمع كان في بداياته يُعلي من شأن المرأة البدينة، الثقيلة الحركة (ص 13)، عكس النحيفة التي يتطيّر منها، والتي لا مكانة لها ولا تأثير فيه (ص 13). وهنا تجدر الإشارة إلى أن ظاهرة البلوح لا تعني جميع نساء البيظان، بل هي ممارسة خاصة، أو طقس خاص بالأسر التي تنتمي إلى القبائل المحاربة، أو إلى الزاوية، أما غيرهما من القبائل فلا وقت لنسائهنّ للتبلاح، فهنّ نساء يقُمن بعمل مُضنٍ ودائم، ولا وقت لهنّ لذلك (ص 13). ونستنتج من هذا أن التبلاح ترفٌ لن تحلم به النساء جميعهنّ. وهذا ما يؤكّده المؤلف عندما يقول إن المرأة تخضع لتنشئة اجتماعية تَعدّ الصبايا لأدوار تنتظرهنّ، واستجابة لمعايير الجمال الجسدي (تسمين الأنثى) حتى تتناسب والمكانة الاجتماعية والكياسة وبطء الخطى والنسب الأصيل. وكما أن هناك تراتبية اجتماعية بين القبائل، هناك تراتبية بين النساء؛ إذ تشترط المرأة في عقد زواجها ألّا يتزوج زوجها بغيرها، ولا يتسرّى عليها، وإن فعل شيئًا من ذلك، فأمرها في يدها (ص 15). نحن، إذًا، أمام نساء أمورهنّ في أيديهنّ، ويرفضن التعدد (لا سابقة ولا لاحقة)، من دون أن ننكر وجود حالات استثنائية في أوساط الأثرياء، خاصة من قبائل الزوايا (ص 15).

ومن علامات العناية بالمرأة أيضًا تكريمها صداقًا، من خلال المبالغة في المصاريف والأموال المقدّمة إليها قصد بناء خلية الأسرة (ص 15-16)، والعمل على إرضائها بالمال (فعندما تغضب النساء يُقدَّم إليهنّ المال بذلًا وسخاء) (ص 17). وإضافة إلى هذا، لا تكتمل شخصية المرأة الاجتماعية إلّا إذا قيل فيها الشعر (ص 20). ومن العلامات الأخرى على تميّز النساء في الصحراء قدرتهنّ على التغنّي بالذكور، في ما يُعرف أدبًا بالتبراع. وهو كلام منظوم، تنشده الفتاة تغزّلًا بمحبوبها (ص 23)، وبذلك نكون أمام شعر نسائي تختص فيه الفتيات من أصول المجموعات المهيمنة من حسان وزوايا (ص 24)، موضوعه العواطف والحب والعشق والتغزّل بالذكور، وهو شعر تطغى عليه الرمزية واللغز (ص 25). وقد لاحظ المؤلف، من خلال النماذج الشعرية التي عالجها، أن هناك اختلافًا بين الإنتاجين القديم والجديد في ما تُبدعه النساء من هذا الشعر، ويؤكد أن المرأة الصحراوية تعمل، من خلال ما تُبدعه، على إنتاج العرض، وإعادة إنتاج التراتبية الاجتماعية التقليدية (ص 32)، فيقول إن المرأة بين جدارين: جدار المراقبة والوضوح (ص 33)؛ فهي أنثى عاشت تجارب مثل الختان والبلوح، وهي تجارب قاسية لتكوين جسد تتمنّاه القبيلة وتتغنّى به. ويلاحظ المؤلّف أيضًا أن المرأة البيظانية لم تكن تستر جسدها كله، ولم تكن منعزلة عن الرجل، ولا متوارية من القوم، كما كان سائدًا في بعض المجتمعات المستقرة؛ ما يُبيّن أننا أمام امرأة تريدها الجماعة أن تكون صامتة، لكنها في المقابل تعرف الكيفية التي تُفصح بها عن رغباتها تجاه

8 اسم المامي تحريف للفظ "الإمام"، والمامي لقب الشيخ محمد المامي، من أبرز علماء الصحراء الكبرى ومتصوّفتها خلال القرن التاسع عشر، من مؤلفاته المهمة: **كتاب البادية**، و**نظم مختصر خليل** و**كتاب القواعد الفقهية**.

9 Maurice Godelier, *La production des Grands Hommes* (Paris: Fayard, 1982), p. 89.

10 Nicole Belmont, *Arnold Van Gennep: Le créateur de l'ethnographie française* (Paris: Payot, 1974), p. 72.

الرجل ووقت ذلك (ص 37)؛ فهي امرأة حاضرة في الحياة العامة، وفي اتخاذ القرار (ص 40)، وتُمارس أنشطةً مختلفةً طوال النهار، وتُعتبَر عنصرًا فاعلًا وأساسيًا في الحياة اليومية لجماعتها (مع اختلاف وتباين في المواقع الاجتماعية والعمرية) (ص 42). ومع التحوّلات الحاصلة في الصحراء، أصبحنا أمام زمن آخر، تتوزّع فيه المرأة بين البيت والدراسة والعمل، وصارت تستقلّ بذاتها وتعتني بجسدها، وبدأت تتخلّص تدريجيًا من إكراهات الجماعة وسلطتها (ص 44-45). لذا، نحن إزاء ثقافة جديدة في طور البناء والتشكّل، تُمجّد نحافة الأنثى، ولا تزال تُمجّد شجاعة الذكور، وتنبذ كبر بطونهم وضخامتها؛ فهي ثقافة حسّانية كانت تنبذ الإكثار من الطعام لذكورها، وتبتغي تربيتهم على الجلَد وتحمّل المشاق. لم يكن الجسد، على الدوام، محايدًا، بل شكّل مجالًا للتفاعل والاندماج الاجتماعي، ولا يزال كذلك. فهو جسد يُلزَم بدلالات ورمزيات اجتماعية وثقافية ويُثقَل بها. وبناء عليه، تحمل المرأة الصحراوية ثقافة أهلها من البيظان وتُعَدّ صمّام أمان لاستمراريتها؛ ففي جسدها تغرس الجماعةُ قيَمَها وأعرافَها، وترتدي لحاف القبيلة، وتُحسن التعبير عن قيَمِها وشرفِها (ص 49).

يؤكد المؤلّف، في بحثه عن مغازي السمنة، أنها كانت في الماضي تحدّ من حركة المرأة وتربطها بالخيمة وبمحيطها، بينما نحافة الرجل تُمكّنه من سرعة الحركة وممارسة الرعي والقتال والترحال، لذلك تُردّد الألسن الكلام المأثور: "رزق الرجل تحت أقدامه، ورزق المرأة تحت أردافها". أما التحوّل الذي حصل ويسري الآن، فمردّه إلى التحوّلات العامة والكبرى التي تسم الحياة الاجتماعية برمّتها.

أما عن معايير جمال المرأة، فيُستجمع أهم مقوّماتها في عناصر، من أبرزها التركيز على السمنة (ص 76). فالسمنة من الزينة، ومن فقدتها فقدَت الجمال، لذلك تبقى السمنة مطلوبةً حتى آخر لحظات العمر كما في قولهم "سمّن عجوزًا تجد شابّة" (ص 77)، و"من تريد الجمال عليها أن تصبر على خرق الأذنين لوضع الأقراط" (ص 77). ويجري التركيز أيضًا على جمال الساق، والحرص على جاذبيته، من خلال عوامل إضافية، مثل الخلاخل التي تظهر جماله أكثر (ص 52). ويشمل الجمال كذلك تسريحة الشعر وزينته، مع الحرص على طوله وسواده وضفره بطرائق خاصة، إلى جانب نعومة الأيادي وجمال العيون، وامتلاء البطن وبروز الأرداف (ص 55). ويسجّل المؤلّف أن مظاهر التجميل تُخصّص عادة للمتزوجات، أما العازبات فلا ينلن منه إلّا القسط الأبسط، حفاظًا على العرض والشرف.

وقد لاحظ المؤلف أيضًا أن الأمثال التي تناولت المرأة تتّسم بالقلّة والشحّ (ص 82)، لكنها، على الرغم من ذلك، تُظهر مكانة المرأة وقيمتها، من ذلك المثل القائل "من كانت المرأة بجانبه كان الله معه"، في إشارة إلى حظوة النساء وبركتهنّ. ويظهر أن أخلاق المرأة تكشف عنها مجاورتُها، في حين تُكشف أخلاق الرجل بالسفر معه (ص 88). ومما يؤكد تميّز النساء أيضًا أنهنّ يخلقن القرابة، ويُنجبن، ويربطن بين القبائل (ص 85).

يؤكد المؤلف، عند تناوله أسماء النساء، أننا أمام ظاهرة لسانية واجتماعية (ص 57)؛ فصنّف أسماءهن وأظهر دلالاتها، ومعاني اختيارها، ودواعيه (ص 63). وتكمن دلالة هذه الأسماء ورمزيتها الاجتماعية والثقافية في المحبة والتودّد، ومنها ما يدل على الرجاء والتمنّي (ص 65). ويذكر أن للتسمية بعدًا آخر، يتمثل في الوقاية والحماية من الشرور. ويبيّن أن النساء يخترن أسماء مواليدهنّ من المحيط الصحراوي، ومن خلال التفاعل مع الثقافات المجاورة. وعند تصنيفه لهذه الأسماء، يُبرز بُعدَها القبلي/ الهوياتي، ويشير إلى أن التحوّلات في اختيار الأسماء في الزمن الراهن تستند إلى قناعات الوالدين، وما يوفّره نظام الحالة المدنية.

يعتمد المؤلّف، في بحثه عن صورة المرأة في المثل الحسّاني (ص 75)، على النصوص المحلّية وعلى الثقافة الشفوية التي تعدّ المُعبّر اليومي والسجل الحي لحياة الناس، مؤكدًا أن المثَل جملةٌ مختصرة، دالّة، وموزونة. وعلى الرغم من أن مؤلّفي الأمثال غير معروفين، فإنها تعدّ تراثًا جماعيًا، تناقلته الأجيال، ويُعاد إنتاجها من خلال تكرارها في المناسبات الدالّة، بل تُستثمر في الأحاديث لتمرير القيم إلى الأجيال الجديدة.

ينتهي الكتاب بعرض أوضاع الصحراويات في سبعينيات القرن العشرين، من خلال مذكرات الكاتبة سان ماو (ص 93)، التي وصلت إلى مدينة العيون، برفقة زوجها الإسباني، في عام 1974، حيث أقامت في الصحراء مدة سنتين ونصف السنة. وقد لاحظت العناية الزائدة بجسد الفتاة وتحضيرها للزواج، من خلال التركيز على الأفعال الغرائبية، مثل "لحكين"؛ أي حقن المرأة بماء البحر (ص 99)، وهي عملية تُمارسها النساء مع فتياتهنّ، تستهدف غسل البطن. وسجّلت كذلك تزيين الجسد بوضع الحناء الحمراء والسوداء، خصوصًا في المناسبات الدينية (ص 100). وأشارت إلى سكوت النساء عن الحمل، ورفضهنّ، في بداية تعميم المؤسسات الاستشفائية في المناطق الصحراوية، الولادة في المستشفى بإشراف أطباء ذكور (ص 101).

ثالثًا: في أنثروبولوجيا النساء

شهد أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، اهتمامًا متزايدًا من عدد من الأنثروبولوجيين، أمثال إدوارد ويستمارك Edvard Westermarck (1862-1939)، وليونارد تريلاوني هوبهاوس Leonard Trelawny Hobhouse (1864-1929)، وهيرمان هاينريش بلوس Hermann Heinrich Ploss (1819-1885)، وماكس بارتلز Max Bartels (1843-1904)، وأوتيس توفت ماسون Otis Tufton Mason (1838-1908)، وإدوارد إ. إفانز بريتشارد (1902-1973)، وغيرهم كثر، بوضع النساء في المجتمعات، موضوع دراساتهم، عبر مناطق مختلفة من العالم[11]. وقد أسهمت هذه الدراسات في تراكم معطيات مهمة بشأن الحياة الاجتماعية لشعوب عديدة. ويُلاحَظ أن الدراسات الأنثروبولوجية الأولى التي تناولت النساء، بما في ذلك المعطيات الإثنوغرافية التي تركها الرحّالة والمغامرون والإداريون قبل ظهور الأنثروبولوجيا، قد كتبها في الغالب رجال ينتمون إلى الطبقة الميسورة، وذوو تكوين ديني، وكانوا متأثرين إلى حد بعيد برؤية معيارية سائدة، دفعتهم إلى التركيز على ما ينبغي أن يكون عليه وضع المرأة في المجتمع، بدلًا من الالتفات إلى ما هو كائن فعلًا.

لهذا بدأ الأنثروبولوجيون، تدريجيًا، في فحص كيفية تغير وضع المرأة بتغير أنماط الثقافة والبنية الاجتماعية؛ فالمجتمعات المختلفة ثقافيًا، بتعدد نماذجها وتنوّعها، وفّرت حقل ملاحظة بالغ الخصوبة[12]. ومن ثم، يمكن التمييز، في تاريخ تناول الأنثروبولوجيا للنساء، بين ما يمكن تسميته تناولًا أنثروبولوجيًا بالقوة، ويُقصد به تناول موضوع "النساء" عرضيًا في سياق الاشتغال على مواضيع أخرى؛ وما يمكن تسميته تناولًا أنثروبولوجيًا بالفعل، حين تحوّل موضوع النساء وما يرتبط به من مفاهيم، كالهوية والاختلاف بين الجنسين والتمييز بين الذكورة والأنوثة ... إلخ، إلى موضوع محوري في البحث الأنثروبولوجي.

رابعًا: من أنثروبولوجيا النساء بالقوة إلى أنثروبولوجيا النساء بالفعل

تُجسّد كتابات مارغريت ميد (1901-1978) نموذجًا مثاليًا لما يمكن تسميته "أنثروبولوجيا النساء بالقوة"؛ إذ تُنبّه في مستهل كتابها عن الجنسانية في أوقيانوسيا إلى أن دراستها ليست مؤلَّفًا حول حقوق النساء، ولا بحثًا في الأسس العلمية للنسوية Féminisme، بل تقول: "هدفي ببساطة أن أكشف إلى أيّ حد يُشكّل النقاش حول مكانة المرأة في المجتمع، ومزاجها وعقليتها، وشخصيتها،

11 Edward Evan Evans-Pritchard, *La femme dans les sociétés primitives et autres essais d'anthropologie sociale*, Anne & Claude Rivière (trad.) (Paris: PUF, 1971), p. 27.

12 Ibid., p. 28.

واستعبادها أو تحررها، تجاهلًا لعمق المشكلة، التي تكمن في أن أدوار الجنسين تتغير وفقًا للنسيج الثقافي الخاص، الذي من خلاله تتحدّد العلاقات الإنسانية"[13].

في المقابل، يعد كتاب الأنثروبولوجية الفرنسية فرانسواز إريتييه (1933-2017) **المذكر/ المؤنث**، كما يظهر من عنوانه، تجسيدًا حيًّا لأنثروبولوجيا النساء بالفعل؛ إذ يتناول "الطريقة التي جرى التفكير فيها في الاختلاف بين الجنسين، في المجتمعات الإنسانية منذ بدايات التاريخ، من خلال البحث في الشروط الضرورية والثابتة التي قادت الناس في كل مكان إلى مفهمة هذا الاختلاف وترجمته إلى تراتبية"[14]. فمقولات النوع Les catégories de genre، وتمثّلات الشخص انطلاقًا من بعده الجنسي، وتوزيع المهمات كما في المجتمعات الغربية، ليست ظواهر كونية، ولا نابعة من الطبيعة البيولوجية المشتركة، إنما هي إنشاءات ثقافية[15]. ومن ثمّ، فالعلاقات بين الرجال والنساء، قبل أن تكون مسألة نظرية تتناولها الأنثروبولوجيا، هي في نظر إريتييه، وثيقة الارتباط بالمشكلات الاجتماعية الملموسة والمستعجلة التي تواجه الإنسان والأسرة في المجتمع (مثل الإنجاب الاصطناعي، والعمل المزدوج للنساء في البيت وسوق الشغل، ووضعية النساء المهاجرات ... إلخ)[16].

بناءً على ما سبق، يمكن اعتبار كتاب **نساء الصحراء** منعطفًا نوعيًا في مسار دحمان؛ إذ انتقل فيه من التناول الأنثروبولوجي العرضي للنساء، وإنجاز نوع من "أنثروبولوجيا النساء بالقوة"، في دراساته السابقة عن مختلف مظاهر المجتمع الصحراوي (قبائل الصحراء، وديناميات الترحال والاستقرار، والثقافة الشعبية ... إلخ)[17]، إلى الاهتمام الأنثروبولوجي الحصري بالنساء، وإنجاز نوع من "أنثروبولوجيا النساء بالفعل". ويعزز دحمان بكتابه هذا التوجّه الأنثروبولوجي الذي استهلّه أنثروبولوجيون وأنثروبولوجيات قبله، بجعل واقع النساء والعلاقات بين الجنسين "موضوعًا" محوريًا ومرئيًا، بعد أن كان موضوعًا عرضيًا وثانويًا فحسب. فما أنجزه يلتقي مع ما أنجزته ميد، التي، كما أكّدت ابنتها ماري كاترين باتسون Mary Catherine Bateson (1939-2021)[18]، كانت تركّز على النساء اللواتي كُنّ غير مرئيات في الأبحاث الأنثروبولوجية، في كل مكان قصدته، سواء في غينيا الجديدة أو في بالي في إندونيسيا[19]. ويلتقي عمل دحمان، كذلك، مع مساهمة إريتييه التي اتّجهت، بعد تجربة ميدانية في البحث الأنثروبولوجي، في مواضيع مثل بنى القرابة وعلاقات المصاهرة والتحالف وإعادة الإنتاج والجسد والشخصية وزنى المحارم، إلى التركيز على مسألة "الاختلاف بين الجنسين"[20]. وكما توضح إريتييه نفسها، فهذه المسألة، قبل أن تكون موضوعًا نظريًا تتناوله الأنثروبولوجيا، هي وثيقة الارتباط بالمشكلات الاجتماعية الملموسة والراهنة التي تعيشها النساء في الواقع، مثل العمل المزدوج في المنزل وفي الخارج (سوق الشغل)، والإنجاب الاصطناعي، ووضعية النساء المهاجرات ... إلخ[21].

13 Margaret Mead, *Mœurs et sexualité en Océanie*, Georges Chevassus (trad.) (Paris: Plon, 1963), pp. 14-15.

14 Françoise Héritier, *Masculin/ Féminin II, Dissoudre la Hiérarchie* (Paris: Odile Jacob, 2002), p. 8.

15 Françoise Héritier, *Masculin/ Féminin I, La pensée de la différence* (Paris: Odile Jacob, 1996), p. 20.

16 Ibid., p. 16.

17 ومثلما قال المؤلف على لسان أبي عبيد البكري في **المسالك والممالك**، فإن الصحراء هي "أرض النساء" (ص 7)، وأيّ تناول لهذه الأرض، لا بد من أن يشمل الحديث عن النساء.

18 ابنتها ماري كاترين باتسون من زواجها الأول بالأنثروبولوجي ورائد مدرسة بالو ألتو، غريغوري باتسون Gregory Bateson، في معرض تقديمها الطبعة الجديدة من كتاب ميد المعروف *Coming of Age in Samoa* (2016).

19 Mary Catherine Bateson, "Words for a New Century," in: Margaret Mead, *Coming of Age in Samoa. A Psychological Study of Primitive Youth for Western Civilisation* (New York: HarperCollins; William Morrow & Company Publisher, 2016), p. 9.

20 Françoise Héritier, *L'identique et le différent, en dialogue avec Caroline Broué* (La Tour-d'Aigue (Vaucluse): L'aube, 2008), p. 65.

21 Héritier, *Masculin/ Féminin I*, p. 16.

خامسًا: في الحاجة إلى أنثروبولوجيا النساء

أظهرت الدراسات الأنثروبولوجية المتعلقة بالنساء أن الرجل والمرأة ليسا معطيَين بيولوجيين فحسب؛ إذ لا يجوز اختزال الرجل في ذكورته (في ذكره)، ولا المرأة في أنوثتها (في دورها الإنجابي). ومن هنا تبرز أهمية الأنثروبولوجيا، لأنها تكشف على نحو ملموس ما تصنعه الجماعات البشرية بأفرادها، ضمن سياقات بعينها، وتُنبّه، في ضوء ذلك، إلى عدم إضفاء الطابع الكوني (ومن ثم الحتمي) على طرائق اشتغال العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، لأن هذه العلاقات تُدرج على الدوام ضمن تشكيلات مبنية اجتماعيًا، وسياقات محددة تاريخيًا. ومن هذا المنطلق، تغدو الأنثروبولوجيا ترياقًا ضدّ كل نزعة جوهرانية Essentialisme[22]، تسجن النساء في صور وأوضاع وأدوار معيّنة وثابتة. فالتوزيع الجنسي للأدوار، في جوهره، توزيع اجتماعي - ثقافي أساسًا، ولا يشكّل سوى جزء بسيط من تقسيم له جذور بيولوجية[23]. فما يعتبره مجتمعٌ ما مهمةً ذكورية، يمكن أن يصير في مجتمع آخر مهمةً أنثوية؛ ومن ثمّ، فكل تقسيم للأدوار هو تقسيم محدد سوسيوثقافيًا. وينطوي إنجاز مثل هذه المهمة أو تلك على دلالة رمزية قد تمنح أحد الطرفين سلطة أو تقديرًا يفوق الآخر[24]. ويُظهر التحليل الأنثروبولوجي أن جذور هذه التفاوتات متجذّرة في خطاطات التفكير البشري، الأمر الذي ينبغي ألّا يمنع العلوم الاجتماعية من الاستمرار في عملها من خلال التحليل والكشف عن مجمل هذه التفاوتات[25]. وقد أشار بيير بورديو، في أعماله الإثنولوجية[26] التي أنجزها في منطقة القبايل في الجزائر، في نهاية خمسينيات القرن العشرين، إلى مدى اشتغال مقولتَي "المذكر" و"المؤنث" بوصفهما عاملين رمزيَين ينتجان المعايير والمعاني في مختلف لحظات الحياة. فمن خلال المعطيات الإثنوغرافية التي جمعها في منطقة القبايل، استنتج أن الاختلاف بين الجنسين يُدرج ضمن كوسمولوجيا قائمة على التناظر Homologie؛ إذ يقسّم المجال إلى مناطق ذكورية وأخرى أنثوية، وتوزَّع الأشغال والأنشطة اليومية بحسب هذا التصنيف. فالرجل يرتبط بالأغذية الساخنة والقوية والأدوات الحادة والقاتلة ... إلخ[27]، أما المرأة فتُقرن بالأغذية الحلوة والطازجة وبالتواري (السر، الظلمة ... إلخ) والقرب من عالم الحيوان، إلى غير ذلك من التقابلات المفاهيمية والعملية (الرجل - المرأة، الأسفل - الأعلى، اليمين - اليسار، الجاف - الرطب ... إلخ)، التي تعمل على تعزيز ذاتها على نحو متبادل، ولا سيما تعزيز ما يقترن بالهيمنة الذكورية التي ما لبثت أن تماهت مع ما يُنظر إليه بوصفه "النظام الطبيعي للأشياء"[28]، حتى صار من الصعب الفصل بينهما.

ويوظف دحمان في كتابه نتائج العديد من الدراسات الأنثروبولوجية عن "نساء الصحراء"، سواء تلك التي انطلقت من تحريات ميدانية، أو من نصوص دوّنها ملاحظون/ات خارجيّون/ات أقاموا/ أقمن في المنطقة. وتعدّ مثل هذه المساهمات مدخلًا ضروريًا لكل سياسة تنموية حقيقية في مجتمع الصحراء، كما تؤكد ذلك الباحثة المالية أمينة تراوري Aminata Traoré (1947-)[29]، التي يستشهد بها دحمان في مقدّمة كتابه (ص 8).

---

22 Isabelle Claire, *Sociologie du Genre* (Paris: Armand Colin, 2012), p. 118.

23 Martine Segalen, *Sociologie de la famille* (Paris: Armand Colin, 2000), p. 210.

24 Ibid.

25 Ibid., p. 236.

26 أعمال بورديو الأولى في الجزائر، التي نحت فيها عددًا من مفاهيمه الأساسية لفهم العالم الاجتماعي، والتي تناول فيها مواضيع القرابة والاقتصاد والطقوس القبايلية، منشورة خاصة في:

Pierre Bourdieu, *Esquisse d'une théorie de la pratique: Précédé de trois études d'ethnologie kabyle* (Paris: Éditions du Seuil, 2000).

27 Pierre Mounier (ed.), *Pierre Bourdieu, une Introduction* (Paris: Éditions La Découverte, 2001), p. 11.

28 Ibid., p. 92.

29 أمينة دراما تراوري، باحثة في العلوم الاجتماعية، وناشطة سياسية، من مالي، شغلت منصب وزيرة للثقافة والسياحة (1997-2000)، من مؤلفاتها: **نساء أفريقيا: الإصلاحات المؤلمة** (1995)؛ **اغتصاب المتخيّل** (2002)؛ **أفريقيا المهانة** (2008).

سادسًا: "نساء الصحراء" والاستثمار المكثّف لمساهمات الأنثروبولوجيات

يلاحظ المُطّلع على كتاب **نساء الصحراء** استثمار دحمان عددًا كبيرًا من الأبحاث التي أنجزتها أنثروبولوجيات، اشتغلن قبله على موضوع "نساء الصحراء"، نذكر منهن ألين توزين Aline Tauzin وليلى أبو لغد Lila Abu-Lughod وفرانسواز زونابن Françoise Zonabend وكاترين وايلي Catherine Wiley وصوفي كاراتيني Sophie Caratini وغيرهن كثيرات. ولا بد من الإشارة هنا، أيضًا، إلى أن عددًا لا بأس به من الباحثين في حقل الأنثروبولوجيا، المتخصصين في موضوع الكتاب (النساء) وفي مجال دراسته (الصحراء)، ولا سيما في المجتمعات المغاربية، هم من النساء؛ إذ راكمت أنثروبولوجيات كُثر، خصوصًا فرنسيات، أبحاثًا مهمة حول مختلف مناحي الحياة الاجتماعية المغاربية، أمثال جرمين تيون Germaine Tillion (1907-2008)[30]، وتيريز ريفيير Thérèse Rivière (1901-1970)[31]، وفاني كولونا Fanny Colonna (1934-2014)[32] وجين فافري سعادة Jeanne Favret-Saada (1934-)[33] ... إلخ[34]، بل منهنّ من ارتبط اسمهنّ بمجال الصحراء، أمثال صوفي كاراتيني Sophie Caratini (1948-) وأوديت دي بويغودو Odette Du Puigaudeau (1894-1991) وألين توزين ... إلخ، إلى درجة صار بعضهن جديرًا بلقب "نساء الصحراء"[35]، بفضل استكشافهن الإثنوغرافي للحياة الصحراوية الأصيلة، ولأوضاع النساء في هذا السياق.

ولا شك في أن اعتماد مؤلّف كتاب **نساء الصحراء** على زخمٍ من الدراسات الأنثروبولوجية التي أنجزتها أنثروبولوجيات، واستثماره الوافي لمعطياتها، يبرز بجلاء أهمية مساهمة النساء في إنتاج المعرفة العلمية في حقل الأنثروبولوجيا؛ ذلك أنه ما لم تُدمج النساء ووجهات نظرهنّ ضمن الخطاب الأنثروبولوجي المُنتَج عنهنّ، فإن هذا الخطاب سيبقى خطابًا جزئيًا وتجزيئيًا ومختزلًا. ومن المؤكد أنه ينبغي للمرأة أن تكون ممثَّلة على مستوى الموضوع، وعلى صعيد العيّنة المدروسة، حتى تصير "موضوعًا مرئيًا"، له أهميته وضرورته، من أجل فهم الإنسان والمجتمع، سواء تعلّق الأمر بالصحراء أو بأي مكان آخر. غير أن ذلك لا يكفي؛ إذ يجب أيضًا أن تكون ممثَّلة على مستوى إنتاج المعرفة الأنثروبولوجية ذاتها[36]. لهذا، يُحسب لكتاب **نساء الصحراء** أنه منح مساحة وافية لوجهات نظر النساء بشأن واقعهنّ. واستنادًا إلى البحث الأنثروبولوجي نفسه، فإن وضعيات الرجال والنساء في العلم، أو في المجتمع، عمومًا، ليست نتاجًا أو قدرًا بيولوجيًا فحسب، بل هي إنشاءات اجتماعية Construits sociaux. ومن ثم، تكتسب مسألة التقسيم الاجتماعي

30 أنثروبولوجية فرنسية، تلميذة مارسيل موس Marcel Mauss (1872-1950)، أنجزت أبحاثها الأساسية في الجزائر، وتحديدًا في منطقة الأوراس. من أهم مؤلفاتها: **جزائر سنة 1957** (1957)؛ **الحريم وأبناء العم** (1966)؛ **الجزائر الأوراسية** (2001).

31 أنثروبولوجية فرنسية، تلميذة مارسيل موس، أنجزت أبحاثها الإثنوغرافية في منطقة الأوراس (الجزائر)، مع جرمين تيون. من مؤلفاتها: **كتالوغ أو فهرس مجموعات الأوراس** (1943)؛ **الأوراس في الجزائر: 1935-1936** (1988).

32 سوسيولوجية وأنثروبولوجية فرنسية - جزائرية، ولدت وعاشت في الجزائر حتى عام 1993. من مؤلفاتها المهمة: **المعلمون الجزائريون 1883-1939** (1975)؛ **آيات محصّنة** (1995).

33 أنثروبولوجية فرنسية ولدت في تونس. أنجزت أبحاثها في الجزائر، ثم في العالم القروي في فرنسا خصوصًا، وركزت إلى حد بعيد على موضوع السحر. من أهم مؤلفاتها: **الكلمات والموت والأقدار: السحر في منطقة البوكاج** (1977)؛ **الجزائر: 1962-1964: أبحاث في الأنثروبولوجيا السياسية** (2005).

34 الواقع أنه حتى في حقل الأنثروبولوجيا الأميركية، تشير الأنثروبولوجية الأميركية إليانور لياكوك Eleanor Burke Leacock (1922-1987)، إلى توجّه عدد كبير من النساء إلى هذا التخصص؛ ذلك أن عددًا مهمًا من الرعيل الأول من الأنثروبولوجيين من النساء، معظمهن تلميذات فرانز بواس Franz Boas (1858-1942)، المؤسس الفعلي للأنثروبولوجيا الأميركية، أمثال مارغريت ميد وروث بندكت Ruth Benedict (1887-1948) وغلاديس رايشارد Gladys Amanda Reichard (1893-1955) وجين ويلتفيش Gene Weltfish 1902-1980 وماريان سميث Marian Smith (1907-1961) وروث بونزيل Ruth Bunzel (1898-1990) ورودا ميترو Rhoda Métraux (1914-2003) ... إلخ، مثلما أن أنثروبولوجيات أُخريات فرضن أنفسهن في ما بعد، أمثال ليكوك وهيلدريد غيرتز Hildred Geertz (1927-2022) (زوجة كليفورد غيرتز) وفيليس كابري Phyllis Kaberry (1910-1977) ... إلخ.

35 Monique Vérité, *Odette du Puigaudeau: Une Bretonne au désert* (Paris: Payot et Rivages, 1992), p. 2.

36 Abdessamad Dialmy, *Le Féminisme au Maroc* (Casablanca: Éditions Toubkal, 2008), p. 19.

للعمل بين الجنسين، أو ما يُعرف بالتقسيم الجنسي للعمل، أهمية[37]. ويعود الفضل في بيان ذلك والكشف عنه إلى الباحثات في حقل الأنثروبولوجيا؛ إذ بيّنّ أن هذا التقسيم يربط في نوع من الأولوية بين الرجال ودائرة الإنتاج Production، في حين أنه يحصر النساء في دائرة إعادة الإنتاج Reproduction. وفي الآن ذاته، يجعل الرجال يحتكرون الوظائف ذات القيمة الاجتماعية المضافة، مثل الوظائف السياسية والدينية والعسكرية وحتى العلمية. وبناء على ذلك، وجّه التيار النسوي نقدًا إلى الأنثروبولوجيا التي تهيمن عليها منذ بداياتها وجهة نظر ذكورية بشأن المجتمع ومكوّناته، نساء ورجالًا[38].

خاتمة

انطلقت هذه المراجعة من عرض مضامين كتاب **نساء الصحراء** ومحتوياته، وحاولت إبراز أهميته وقيمته بالنسبة إلى الموضوعات التي يعالجها، والقضايا التي تترتب عليها اجتماعيًا وثقافيًا. ولم تقف عند هذا الحد، بل ربطت موضوع الكتاب بالكتابات الأنثروبولوجية، سواء تلك التي عالجت موضوع النساء عمومًا، أو تلك التي عالجت، خصوصًا، موضوع نساء الصحراء، وسعت لفتح حوار بين الطرفين. ولعل أهم ما يمكن استخلاصه من هذا الحوار ما سبق أن ألمح إليه عالم الاجتماع الفرنسي ألان تورين في مؤلّفه **عالم النساء**، حين قال: "يتعيّن الذهاب لمعاينة النساء في الواقع والإنصات إليهن، بدلًا من الحديث باسمهن"[39]. ذلك هو درس "أنثروبولوجيا النساء" الذي سعى دحمان لتجسيده في هذا الكتاب، ولا سيما من خلال استثماره المكثّف لمساهمات ميدانية أنجزتها ثلّة من الأنثروبولوجيات.

37 Danièle Kergoat, "Division sexuelle du travail et rapports sociaux de sexe," in: Helena Hirata et al. (dir.), *Dictionnaire critique du féminisme*, (Paris: PUF, 2000), pp. 35-44.

38 Jean Copans, *Introduction à l'ethnologie et à l'anthropologie*, 2ème ed. (Paris: Armand Colin, 2005), p. 48.

39 Alain Touraine, *Le monde des femmes* (Paris: Éditions Fayard, 2006), p. 10.

المراجع

العربية

دحمان، محمد. **الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب**. الرباط: مطبعة كوثر، 2006.

_____. **الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الإسبانية (1885-1933)**. الرباط: الرباط نت، 2014.

_____. **دينامية القبيلة الصحراوية بالمغارب**. الرباط: طوب بريس، 2014.

_____. **سيدي ايفني: الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الإسبانية (1934-1950)**. الرباط: الرباط نت، 2015.

_____. **موريتانيا المعاصرة: المجال والمجتمع**. الرباط: الرباط نت، 2017.

الأجنبية

Dialmy, Abdessamad. *Le Féminisme au Maroc*. Casablanca: Éditions Toubkal, 2008.

Touraine, Alain. *Le monde des femmes*. Paris: Éditions Fayard, 2006.

Hirata, Helena et al. (dir.). *Dictionnaire critique du féminisme*. Paris: PUF, 2000.

Evans-Pritchard, Edward Evan. *La femme dans les sociétés primitives et autres essais d'anthropologie sociale*. Anne & Claude Rivière (trad.). Paris: PUF, 1971.

Héritier, Françoise. *Masculin/Féminin I: La pensée de la différence*. Paris: Odile Jacob, 1996.

_____. *Masculin/Féminin II: Dissoudre la Hiérarchie*. Paris: Odile Jacob, 2002.

_____. *L'identique et le différent, en dialogue avec Caroline Broué*. La Tour-d'Aigue (Vaucluse): L'Aube, 2008.

Claire, Isabelle. *Sociologie du genre*. Paris: Armand Colin, 2012.

Copans, Jean. *Introduction à l'ethnologie et à l'anthropologie*. 2ème éd. Paris: Armand Colin, 2005.

Mead, Margaret. *Coming of Age in Samoa: A Psychological Study of Primitive Youth for Western Civilisation*. New York: HarperCollins; William Morrow & Company Publishers, 2016.

Mead, Margaret. *Mœurs et sexualité en Océanie*. Georges Chevassus (trad.). Paris: Plon, 1963.

Segalen, Martine. *Sociologie de la famille*. Paris: Armand Colin, 2000.

Godelier, Maurice. *La production des Grands Hommes*. Paris: Fayard, 1982.

Vérité, Monique. *Odette du Puigaudeau: Une Bretonne au désert*. Paris: Payot et Rivages, 1992.

Belmont, Nicole. *Arnold Van Gennep: Le créateur de l'ethnographie française*. Paris: Payot, 1974.

Bourdieu, Pierre. *Esquisse d'une théorie de la pratique: Précédé de trois études d'ethnologie kabyle*. Paris: Éditions du Seuil, 2000.

Mounier, Pierre (ed.). *Pierre Bourdieu, une Introduction*. Paris: Éditions La Découverte, 2001.

Sanmao. *Stories of the Sahara*. Taiwan: Crown Culture, 1976.